وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي

جامعة المستقبل
كلية الآداب والعلوم الانسانية
قسم الآثار

آثار العرب قبيل الإسلام

المرحلة الأولى

العمارة والفنون في العراق قبل الإسلام

الحضر

م.م حيدر جبار حسن

٢٠٢٤ ـ ٢٠٢٥

الحضر

الحضر مدينة عراقية تقع على بعد ١١٠ كم جنوب غرب مدينة الموصل في شمال العراق، فهي تعد من المدن الخالدة في تاريخ العراق القديم، لقد اكتسبت الحضر أهمية كبيرة في تاريخ العرب قبل الإسلام، وذلك باعتبارها مدينة حصينة سكنتها القبائل العربية ودافعت عنها حينما تعرضت إلى المخاطر والتهديدات الرومانية والفارسية وبالنظر إلى أهميتها الجغرافية وموقعها الاستراتيجي، فأن مدينة الحضر قد هيمنت على الطرق البرية التجارية والعسكرية، وكانت واحدة من مدن الصحراء أو ما تسمى بمدن القوافل التي لعبت دور المنطقة الفاصلة بين الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية اللتين اقتسمتا العالم القديم في القرون الأولى للميلاد، وكان بينهما صراع دائم على النفوذ والسيطرة عليها.

تعد مدينة الحضر حلقة وصل بين تاريخ العراق القديم وتاريخ العرب قبل الإسلام، إذ إنها تمتد في مظاهرها الحضارية إلى المظاهر العراقية القديمة وهي في الوقت نفسه من المدن المهمة في تاريخ العرب قبل الإسلام.

وكانت الحضر تسمى (عربايا) أي بمعنى بلاد العرب، وورد ذكر الحضر في القرن السادس قبل الميلاد من قبل كتابات بهستون التي وصفتها بأنها ضمن الأقاليم المكونة لإمبراطورية الملك الأخميني دارا الأول (٥٢٢ – ٤٨٦) ق.م، وقد برزت دولة الحضر العربية خلال القرون الثلاثة بعد الميلاد وبالأخص في منتصف القرن الثاني الميلادي، وينتهي حكمها بسقوط مدينة الحضر على يد الساسانيين في نيسان عام ٢٤١ ق.م.

تخطيط المدينة

الحضر مدينة شبه دائرية وكانت هناك عدة أراء في اتخاذ الحضر الشكل الدائري في بناء المدينة، الرأي الأول يذكر إن سبب اتخاذ الشكل الدائري هو إن التخطيط

المدور أو شبه المدور للمدينة يسهل مهمة المدافعين عنها إثناء الهجوم لان مدى دفاعهم سيكون أوسع وبجميع الاتجاهات، وله فائدة اقتصادية ومعمارية أيضا اذ إن السور الدائري يضم مساحة اكبر، والرأي الآخر في سبب اتخاذ التخطيط الدائري كشكل لبناء مدينة الحضر هو إن الشكل الدائري ربما كان مقتبساً من شكل الخيمة على أساس إن معظم الحضريين من العرب البدو ساكني الخيم، كما يذكر إن هناك هدفاً أسمى من الأهداف العسكرية المعمارية في الشكل الذي اتخذته المدينة، فمن المعروف إن الحضر اشتهرت بعبارة (حطرا دي شمش، أي: الحضر مدينة الشمس) التي وردت على بعض النقود الحضرية، فيبدو من هذا إن ملوك ورؤساء قبائل مدينة الحضر ومهندسوها أرادوا إن يجسدوا صورة آلههم الشمس الإله الأعظم بصورة مدينتهم وشكلها، لذلك بنوا مدينتهم بالشكل شبه الدائري شكل قرص الشمس وسموها بهذا الاسم، وان الانحرافات في الشكل الدائري لسور المدينة هو بسبب عوارض في مستوى الارض في بعض الاماكن.

(تخطيط مدينة الحضر)

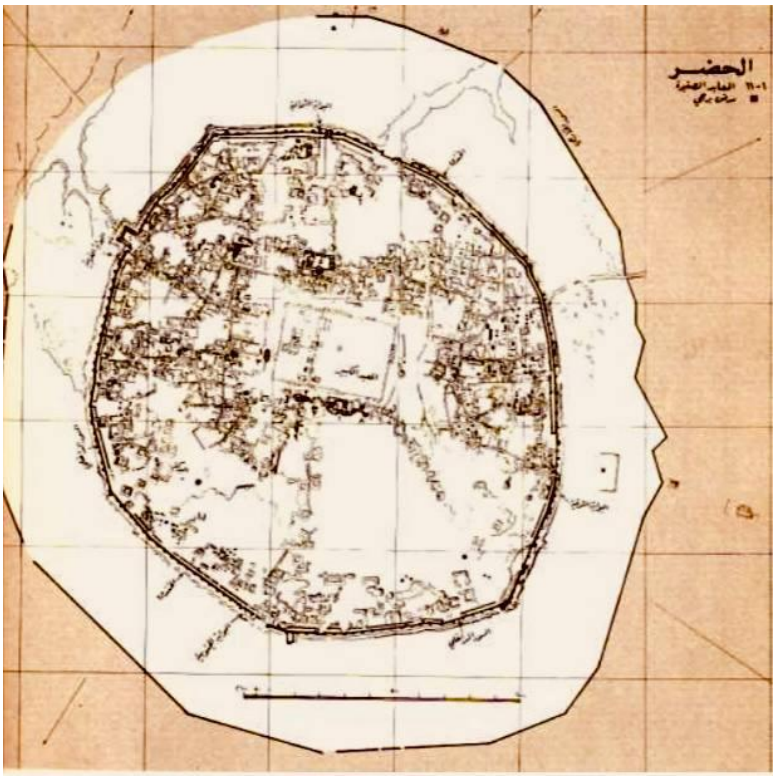

التحصينات الدفاعية في الحضر

كان الموقع مدينة الحضر أهمية كبيرة تمثلت بوقوعها على الطرق التجارية المحاذية لنهري دجلة والفرات مما جعلها عرضة للأطماع الخارجية ولاسيما من الرومان و الفرثيين، مما دفع ملوك الحضر إلى الاهتمام بالتحصينات الدفاعية لمدينتهم، وبناء قوة عسكرية لكي تضمن المحافظة على هذا الموقع المهم وإبعاد خطر الغزو الأجنبي والطامعين بأموالها، وتمثلت الخطوط الدفاعية والاستحكامات في مدينة الحضر على النحو الآتي...

أولاً: السور الخارجي

وهو سور ترابي دائري الشكل يحيط بالمدينة يبعد عن السور الرئيس بحدود (٥٠٠م) وقطره (٣كم)، وقد اتضح بعد التنقيب أن هذا السور وأسسه مرصوفة بأحجار صغيرة وبغير انتظام.

ثانياً: الخندق

وبعد السور الخارجي يأتي الخندق الذي يبعد عنه بحدود (٥٠٠م)، حفر هذا الخندق حول السور الرئيس ويتراوح عمقه بين (٥-٤ م وعرضه ٨م)، وجانبه القريب من المدينة بني بشكل جدار من الحجر يقوم على الأرض الصخرية البكر ومدعم بطلعات وأبراج صغيرة لإسناده وزيادة في مناعته.

ثالثاً: السور الرئيس

كان للسور الرئيس أهمية خاصة في المدينة لكونه العنصر الحيوي في الدفاع عن المدينة ولكونها عاصمة لمملكة كان ينبغي إن تحتاط من اجل الدفاع عن نفسها ولاسيما أنها المركز الديني لمنطقة الجزيرة الفراتية وتحتوي معابدها على الأموال الكثيرة ، حتى إن الإمبراطور الروماني سبتيموس سفيروس (١٩٣- ٢١١م) كان يأمل في إن يدخل من الثغرة التي أحدثها جنوده في السور ليكون أول الحاصلين

على كنوز المدينة، فهذا السور الدائري يحيط بالمدينة من كل الجوانب وهو دائري الشكل تقريبا ومبني من لبن منتظم عرضه (٣م) وفي الجانب الشرقي عرضه (٣,٥م) يقوم على أسس من أحجار مهندمة ترتفع مترين في بعض المناطق فوق مستوى الأرض، ومنه يستمد السور قوته ومتانته وسمكه لمنع العدو من اختراقه، أما قطر هذا السور فيبلغ الكيلو مترين فقد استطاع جنود الإمبراطور الروماني سفيروس أن يحدثوا فجوة في السور خلال محاصرته للمدينة عام (١٩٨-١٩٩م) ولكنه فشل في إخضاعها، وكذلك حاول الملك الساساني اردشير بعد سقوط المدائن سنة (٢٢٦م) من السيطرة عليها لكنه فشل ايضاً، وكان سور مدينة الحضر مشيداً بالحجر المهندم لزيادة قوته ومناعته، ويذكر أن سور الحضر كان مطلسماً مما يصعب على العدو اجتيازه، وقد فصل السور عن بيوت السكن في المدينة بأراضي خالية وذلك لتسهيل عملية نقل التجهيزات ووصول الإمدادات إلى المناطق الدفاعية، ولزيادة مناعة هذا السور ومتانته زود بالعديد من الأبراج يزيد عددها عن (١٦٣) برجاً، ومجموعة من القلاع الحجرية الصلدة وظيفتها الأساسية دفاعية، فضلا عن استخدام سقوفها لوضع الأسلحة والمعدات الحربية المختلفة، وكان الهدف الرئيس الذي بنيت من اجله هذه الأبراج والقلاع هو استخدامها لرصد وكشف الأعداء والتي تعد موقعاً دفاعياً ضارباً فوق هذه القوات.

وتقسم أبراج السور الرئيس إلى قسمين منها أبراج ضخمة صلدة بنيت واجهتها الخارجية بالحجارة المهندمة وهناك أبراج أخرى من النوع نفسه تجاوز امتدادها العشرة أمتار وعمقها أحد عشر متراً.

وهناك أيضا أبراج اصغر امتداداً وعمقاً من الأبراج الرئيسة وهي غالباً ما تكون مجوفة بدلالة وجود أماكن محفورة بداخلها، وهناك جدران قصيرة موازية للأبراج تمتد من الجهة الخارجية للسور الرئيس وبمسافة متر واحد تقريباً الى الخندق، إذ كان

الهدف من إنشائها هو إعاقة تقدم العدو إذا عبر الخندق مما يعرضه إلى ضربات الحضريين من أعالي الأبراج والأسوار.

ولأجل تسهيل حركة المدافعين وسرعة صعودهم إلى أعلى السور والأبراج فقد تم بناء عدد من السلالم الحجرية صفراء اللون مسندة بأقواس الصعود المدافعين، وتتميز الأبراج والقلاع بظاهرة تعبوية هامة إذ تبرز عن محيط السور مما يساعد ويوسع عملية الرصد.

رابعاً: السور الداخلي والبوابات المزورة

كان غرض الحضريين من هذه الاستحكامات الدفاعية هو إبعاد الخطر عن مدينتهم فإذا استطاع العدو اجتياز الخط الأول فيواجه الخط الثاني ثم الثالث، فلهذا بنى الحضريون السور الداخلي للمدينة وهو يوازي السور الرئيس ويمتد من جهتي المدخل الشرقي والغربي عرضه (٣م) وارتفاعه(١,٥م) على جانبيه سلالم يرقى عليها عددها خمس درجات ويعد هذا السور خطاً دفاعياً رابعاً.

كان بناء هذا السور بهذا الارتفاع الواطئ ليكون درعاً تحتمي خلفه أو خلاله القوات الدفاعية في حالة هجوم العدو ودخوله من الأبواب.

ولمدينة الحضر أربع بوابات مزورة مشيدة على سورها الرئيس تقع على الاتجاهات الأربعة الرئيسة فهذا التصميم له فائدة كبيرة فهو يساعد على ضبط الاتجاهات الأربعة، بنيت هذه البوابات وفق التصميم المزور لأغراض عسكرية دفاعية ولزيادة استحكاماتها، ففي أوقات السلم يتحتم على الشخص الداخل إلى المدينة أن يعبر القنطرة ثم يمر من خلال المدخل القريب من الخندق بعد أن ترفع الشبكة الحديدية وتفتح الباب الخشبية ثم عليه إن ينعطف يسارا خلال البوابة الشمالية ويمينا عند البوابة الشرقية ويسير بموازاة السور بعدها يعبر باباً آخر مؤدياً إلى باحة المدخل وفيه ينعطف بزاوية قائمة إذ يجد نفسه بعدها في الشارع المؤدي إلى الإحياء السكنية

والمعبد الكبير الذي يتوسط المدينة، إما في أوقات الحرب وعند محاصرة المدينة تسد جميع المداخل وتهيأ وسائل الدفاع اللازمة ويحتمي المدافعون خلف الأسوار والأبراج.

المعابد

١_ المعبد الكبير (معبد الشمس)

٢_ معبد خلوة الشمس(المعبد المربع)

٣_ معبد شحيرو

٤_ معبد سميا

٥_ معبد مرن

٦_ معبد السقاية

٧_ معبد نركال

٨_ معبد اشربل

٩_ معبد هرقل

١٠_ معبد الإله نابو

١١_ معبد بعلشمين واترعتا.

(واجهة المبنى الرئيس لمدينة الحضر)

الفن في الحضر

أولاً: فن النحت(التماثيل)

تميزت الحضر بفن النحت عن بقية الفنون، وذلك بسبب تأثير الحضارة الآرامية المسترفدة ينابيعها في القسم الشمالي من العراق من الحضارة الآشورية وبحكم موقع الحضر القريب من آشور ونينوى أصبحت وريثة الفن الآشوري من تلك المدينتين.

وجد في معابد الحضر مجاميع كبيرة من أصنام الإلهة وتماثيل لأفراد من العائلة الحاكمة، ومن رجال الدين وأرباب المال وقادة الجيش وغيرهم من علية مجتمعها، وأصنام آلهتها صغيرة الحجم في الغالب، مصنوعة من الحجر أو النحاس وجد معظمها في المعابد الصغيرة، أما تماثيل الاشخاص فهي غالبا بحجم الانسان أو أكبر بقليل، وهي مصنوعة من أحد انواع الحجر الموجودة في منطقة الحضر واحدهما (الحجر الكاس) الذي يعرف محليا باسم (حجر الحلان)، وهو أسمر اللون عسلي فاتح ، والثاني هو (الرخام الموصلي) الذي يكون لونه في الغالب رمادي فاتح إلا أنه احيانا ابيض فيه عروق رمادية، واقيمت التماثيل المصنوعة من الحجر الكاسي في ساحات المعبد الكبير لصق جدرانه، أما التماثيل المصنوعة من الرخام فقد نصبت داخل الاواوين وفي الحجرات، لأن الرخام تذيبه مياه الأمطار وتشققه تقلبات حرارة الجو، وقد عثر على البعض من تماثيل الأشخاص داخل المعابد الصغيرة، وتكاد جميع تماثيل الاشخاص ان تكون في وضعة واحدة ممثلين فيها واقفين ينظرون الى الامام ويحييون آلهة المعبد وزواره بثني اليد اليمنى وبسط كفها الى الاعلى، ويرتدي كل شخص الملابس المناسبة لمسلكه في الحياة ويحمل بيده اليسرى ما يمثل ذلك المسلك من كيس دراهم أو ريشة أو انه يضع تلك اليد على قبضة سيفه اذا كان من الفرسان أو المحاربين.

وثمة صفة اخرى ملحوظة في تماثيل الاشخاص وهي ان جميعها لم يعن بنحت الظهر فيها واكتفى بتشكيله تشكيلا ساذجاً، والسبب في ذلك هو أن هذه التماثيل وضعت لصق الجدران فلم يكن يرى قفاها.

(تماثيل من مدينة الحضر في المتحف العراقي)

ثانيا: الملابس

ظهر في تماثيل الحضر أزياء مختلفة في فصالها وزخارفها وهي تمثل ملابس افراد الطبقة العليا من سكان المدينة الذين صنعت لهم تماثيل لخدماتهم العامة أو لمنزلتهم الاجتماعية، ويلاحظ في هذه الملابس مشابهتها الواضحة للملابس اليونانية كالببلوس والجيتون والهيماتون والكلاميس، ولا يعني هذا أن الأزياء العراقية القديمة التي كان يرتديها الآشوريون والبابليون قد اختفت تماما، إذ لا بد وانها ظلت مستعملة بشكل أو آخر في الأرياف وبين الطبقة العامة، رغم انها غير ممثلة في المنحوتات الحضرية، إذ كقاعدة عامة تصح في كل العصور يكون تبدل الازياء بين الطبقة الحاكمة وفى المجتمع المدني أوسع وأسرع من تبدلها في الريف وبين عامة الناس.

تظهر الملابس الفاخرة في هذه التماثيل